# الصدقة بالطيب

عن أبي هُريرةَ ﷺ، قال: قال رسولُ الله ﷺ:

١ «أيُّها الناسُ، إن اللهَ طيِّبٌ لا يَقبَل إلا طَيِّبًا،

٢ وإن اللهَ أمَر المؤمنين بما أمر به المرسَلين، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا ﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴾ [البقرة: ١٧٢]،

٣ ثم ذكَر الرجُل يُطِيل السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إلى السماء: يا ربِّ، يا ربِّ، ومطعمُه حرامٌ، ومشرَبُه حرامٌ، ومَلبسُه حرامٌ، وغُذِيَ بالحرام، فأنَّى يُستجاب لذلك؟!»(٨٢)

(٨٢) رواه مسلم (١٠١٥).

## آيات

- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٢].
- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٧].
- ﴿ قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِ ﴾ [المائدة: ١٠٠].
- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾ [المؤمنون: ٥١].
- ﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ ﴾ [فاطر: ١٠].

## الراوي

عبدُ الرحمنِ بنُ صَخرٍ الدَّوسيُّ، الأَزْديُّ، اليَمانيُّ، مشهور بكُنيته، وهذا أشهر ما قيل في اسمه واسم أبيه، صاحبُ رسولِ الله ﷺ، أسلَمَ عامَ خَيبرَ ٧هـ، ولازمَ النبيَّ ﷺ رغبةً في العلم، وكان يذهب معه أينما ذهب، وكان من أحفَظِ أصحابِ رسول الله ﷺ، وأكثرهم رواية للأحاديث؛ «يروي عنه - كما قال البخاريُّ - أكثر من ثمانمائةٍ، ما بين صحابيٍّ وتابعيٍّ، استعمَلَه عمرُ بنُ الخطَّاب ﷺ واليًا على البَحرينِ، ثم بعد ذلك عاد وسكَن المدينة وانشغل برواية الحديث، وتعليم الناس أمور دينهم، وتُوفِّي في المدينة سنةَ (٥٨هـ)(١)».

## خلاصة

يخبر ﷺ أنَّ الله تعالى طيِّبٌ لا يَقبَل إلا كلَّ طيِّب، ولذلك أمر جميع الناس بالأكل من الطيِّبات، وأخبر أنَّ الأكل مِن الحرام مانعٌ من مَوانعِ استجابة الدُّعاء.

(١) تُراجع ترجمته في: «معرفة الصحابة» لأبي نُعيم (٤/ ١٨٤٦)، «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر (٤/ ١٧٧٠)، «أُسد الغابة» لابن الأثير (٣/ ٣٥٧)، «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر العسقلانيِّ (٤/ ٢٦٧).

١ يُخبِر النبي ﷺ أنَّ الله تعالى طيِّبٌ مُنَزَّهٌ عن النقائص والعيوب. وأصل الطِّيب: الزكاءُ والطهارةُ والسلامة من الخُبث[٨٣].

ولذلك فلا يَقبَل الله تعالى إلا الطيِّب من الأعمال والنفوس؛ فلا يُقرِّب منه سبحانه مَن كان خبيثَ النَّفسِ يَحمل البغضاءَ والضَّغينةَ للناس، ومَن كان يُخالِق الناس بخُلق بَذِيء، ومَن نبَت جسدُه مِن أكل الحرام.

كذلك لا يَقبَل سبحانه من الأعمال إلا الطيِّب، فلا يقبل عملًا دخَله الشِّرك والرياء، ولا يَقبل صدَقةً من مالٍ أُخِذ بغير وجه حقٍّ، قال ﷺ: «ما تصدَّق أحدٌ بصدَقةٍ من طيِّب - ولا يَقبَل اللهُ إلا الطيِّبَ - إلا أخَذها الرحمن بيمينه، وإن كانت تَمْرةً، فتَرْبو في كَفِّ الرحمن حتى تكون أعظمَ من الجبل، كما يُربِّي أحدكم فَلُوَّه أو فَصِيله»[٨٤] -والفَلوُّ ولدُ الحصانِ، والفصيلُ ولدُ الناقةِ- وقال أيضًا: «لا تُقبَل صلاةٌ بغير طُهُور، ولا صَدقةٌ مِن غُلُولٍ»[٨٥].

ويَدخل في الخبيث الذي لا يَقبله اللهُ تعالى أن يَعمَد الرجلُ إلى أسوأ ما في ماله ليُخرِجه عن زكاة ماله، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

٢ ثم بيَّن ﷺ أنَّه لا فرق في الأمر بإطابة المطعم والمشرب والمَلْبَس بين الأنبياء والمرسلين وبين أتباعهم من المؤمنين؛ فكما أَمَر اللهُ تعالى جميعَ النَّاس بالأكل من الطيِّبات والعمل الصالح، فكذا أَمَر أنبياءَه ورسلَه، فالكلُّ مأمورٌ بطلب الحلال وترْكِ الحرام.

٣ ثم أخبر ﷺ أنَّ الأكلَ من الحرام عاملٌ من عوامل عدم استجابة الدعاء مع توافُر أسبابها؛ فقد يَخرج الرجل مسافرًا في أحد أسفار الطاعات؛ كالحج أو الجهاد أو الدعوة أو نحوها، تبدو عليه آثار السَّفر والإجهاد، فشَعْرُه متفرِّقٌ غير مُهَذَّبٍ، وعلى وجهه وثيابِه آثارُ الغُبار، يرفع يديه إلى السماء داعيًا مُلِحًّا على الله أن يَستجيب له، غير أنَّه عاكفٌ على الحرام؛ فأكلُه وشُربه ومَلْبَسُه وغذاؤه من الحرام؛ فكيف يُستجاب لمثل هذا؟!

وقوله: «فأنَّى يُستجاب» استفهامٌ وقَع على وجه التعجُّب والاستبعاد، وليس صريحًا في استحالة الاستجابةِ ومَنْعها بالكُلية؛ إذ يجوز أن يَستَجيب اللهُ تَفضُّلًا وكرمًا منه سبحانه، ويجوز أن يَستَجيب ليكون ذلك إمْهالًا له وقَطعًا لحُجَّته أمام الله. فيُؤخَذ من هذا أن التوسُّعَ في الحرام والتغذِّيَ به من جُملة موانع الإجابة[٨٦].

---

(٨٣) انظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (٣/ ٥٣٥)، «الميسر في شرح مصابيح السنة» للتوربشتيِّ (٢/ ٦٥٥).

(٨٤) رواه البخاريُّ (١٤١٠)، ومسلم (١٠١٤).

(٨٥) رواه مسلم (٢٢٤).

(٨٦) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» للقرطبي (٣/ ٦٠)، «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (١/ ٢٧٥).

# اتباع

١ (١) المؤمن كلُّه طيِّبٌ؛ قلبُه ولسانُه وجسدُه، وذلك بما سكَن في قلبه من الإيمان، وظهر على لسانه من الذِّكر، وعلى جَوارحه من الأعمال الصالحة، التي هي ثمرة الإيمان، وهي داخلة في اسمه كذلك، فهذه الطيِّباتُ كلُّها يَقبلها الله تعالى[٨٧]، فعلى المسلم أن يَزداد إيمانًا حتى يزداد طيبًا وزكاءً.

٢ (١) يُحبُّ اللهُ تعالى أن يَرى اقتداءَ عبده به في بعض صفاته التي لا تختص به؛ كالرحمة واللُّطف والعفو ونحوها؛ يحبُّ أن يرى عبده مُقتديًا به في رحمته ولُطفه وعفوه، وكذلك يُحِب أن يكون عبدُه طيِّبًا بعيدًا عن النقائص والرذائل.

٣ (١) على العبدِ أن يحِرص على إطابة مَطْعمه ونفسه وعمله؛ حتى يحبَّه الله ويتقبَّل عمله؛ قال وَهْبُ بنُ الورد رحمه الله: «لو قُمتَ مَقامَ هذه السَّارية [أي في المسجدِ]، لم ينفعْكَ شيءٌ حتَّى تَنظُر ما يَدخُل بطنَك حلال أو حرام»[٨٨].

٤ (٢) إذا أراد المُعلِّمُ والمُرَبِّي أن يَفعل تلميذُه شيئًا ما، فعليه أن يكون قدوةً له فيه، فكما يأمره بالحرص على الجماعات، فلْيَكن أوَّلَ الحاضرين إلى الجماعة، وإذا حثَّه على التطوع بالنوافل، كان واجبًا أن يَراه تلميذُه كذلك. ولهذا أخبر ﷺ أنَّ المرسلين مأمُورون بطلب الحلال وترك الحرام شأنُهم شأنُ جميع المؤمنين، لا فرْقَ بينهما.

٥ (٢) في الحديث إعلاءٌ لشأنِ المؤمن؛ حيث وجَّه الله تعالى لهم ما أمَر به المرسَلين، فهمْ أهلٌ لذلك لإيمانهم ورِفعة درجتهم[٨٩].

٦ (٣) أخبر ﷺ أنَّ السَّفرَ من بواعث إجابة الدعاء؛ إذ هو مَظِنَّةُ حصول انكسار النفْس بطول الغُربة عن الأوطان، وتحمُّل المشاقِّ، والانكسارُ من أعظم أسباب إجابة الدعاء[٩٠]، قال ﷺ: «ثلاثُ دَعَوات مُستَجابات لا شكَّ فيهن: دعوة الوالد، ودعوة المسافر، ودعوة المظلوم»[٩١]. فإذا كان المسلمُ على سفرٍ فلْيُكثِر من الدعاء؛ فإنه حَرِيٌّ أن يُستجاب له.

٧ (٣) من بواعث إجابة الدعاءِ رفع الأيدي في الدُّعاء مُتضرِّعًا خاشعًا؛ قال ﷺ: «إن ربَّكم تبارَك وتعالى حَيِيٌّ كريمٌ،

---

(٨٧) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (١/ ٢٦٠).

(٨٨) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (١/ ٢٦٣).

(٨٩) انظر: «شرح الأربعين النووية» للعثيمين (ص: ١٤٢).

(٩٠) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (١/ ٢٦٩).

(٩١) رواه أبو داود (١٥٣٦)، والترمذيُّ (١٩٠٥)، وابن ماجه (٣٨٦٢).

يَستَحيي من عبده إذا رفَع يدَيْه إليه أن يردَّهما صِفْرًا»[٩٢] . فعلى المسلم أن يرفع يده في الدُّعاء في المواضع التي رفع فيها النبيُّ ﷺ يده .

٨ (٣) الإلحاحُ في المسألة من أسباب إجابة الدُّعاء، فلا يَعجَل المسلمُ في دعائه فيدعو مرةً ثم يترك الدعاء، بل يُكثِر من الدعاء ويُلحُّ على ربِّه الكريم، قال ﷺ: «يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ؛ يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي» متفق عليه[٩٣] .

٩ (٣) أكل الحلال من أعظم أسباب إجابة الدعاء، والأكل من الحرام مانعٌ من ذلك . ولهذا قال وَهْب بن مُنبِّه رحمه الله: «مَن سرَّه أن يَستَجيب الله دعوتَه، فلْيُطِبْ مَطْعمَه»، وقال يوسفُ بن أسباطٍ رحمه الله: «بلغَنا أن دعاءَ العبد يُحبَس عن السماوات بسوء المَطْعَم»[٩٤] .

١٠ (٣) إذا كان الرجلُ مسافرًا في طاعة من الطاعات، عاكفًا عليها، ولا يُستجاب له لمجرَّد أنَّ طعامه من الحرام، فكيف بمن هو مُنهمِكٌ في الدنيا أو في مَظالِم العباد، أو من الغافلين عن أنواع العبادات والخير؟![٩٥]

١١ حرَص السَّلف رضوان الله عليهم على إطابة مَطْعَمهم، والبُعد عمَّا أورث شكًّا في حِلِّه وحرمته؛ فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «كان لأبي بكر غلامٌ يُخرِج له الخَراج [أي: يعطيه كل يوم ما عيَّنَه وجعَله عليه من كسبه]، وكان أبو بكر يأكُل من خَراجِه، فجاء يومًا بشيء فأكل منه أبو بكر، فقال له الغلامُ: أتَدْري ما هذا؟ فقال أبو بكر: وما هو؟ قال: كنتُ تكهَّنتُ لإنسان في الجاهلية، وما أُحسِن الكِهانة، إلا أني خدَعْتُه، فلَقِيَني فأعْطاني بذلك، فهذا الذي أكلتَ منه، فأدخل أبو بكر يدَه، فقاءَ كلَّ شيء في بطنِه»[٩٦] .

**قال الشاعر:**

**نحْنُ نَدْعُو الإلهَ في كُلِّ كَربٍ ... ثُمَّ نَنساهُ عِندَ كَشْفِ الكُروبِ**

**كَيْفَ نَرجُــو إجــابةً لدُعــاءٍ ... قَدْ سَدَدْنا طَرِيقَها بالذُّنوبِ؟!**

(٩٢) رواه أبو داود (١٤٨٨)، والترمذيُّ (٣٥٥٦)، وابن ماجه (٣٨٦٥).

(٩٣) رواه البخاري (٦٣٤٠)، ومسلم (٢٧٣٥).

(٩٤) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (١/ ٢٧٥).

(٩٥) «شرح الأربعين النووية» لابن دقيق العيد (ص ٤١، ٤٢).

(٩٦) رواه البخاري (٣٨٤٢).